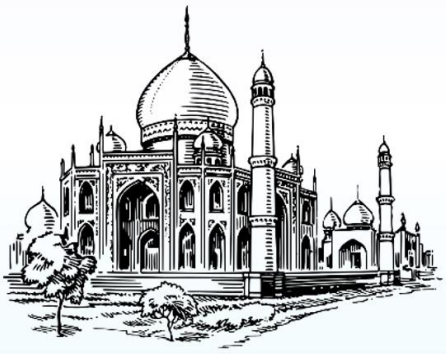

حدائق الروضة

في بيان

حقيقة الصلاة المعروضة

ومعنى قوله ﷺ:

(فإن صلاتكم معروضة علي)

تأليف

أنور بن محمود الرفاعي

Anwar bin Mahmoud Alrefaei

تقديم فضيلة الشيخ

عبدالحميد الحجوري الزعكري

حفظه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

صلى الله عليه وسلم أما بعد

فقد مررت على رسالة (حدائق الروضة في

حقيقة الصلاة المعروضة) لأخينا المبارك إبراهيم

أنور بن محمود الزاعي فرأيته طرق مسألة مهمة أخطأ في

فهمها البعض وجعلها آخرة وأن من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم

فإنه إنما يبلغه السلام والصلاة وليس معناه أنه

يسمع جزاه الله خيراً على هذه الرسالة التي فيها

سد لذريعة الزلل والخلل وبالله التوفيق

كما أن فيها بيان فضيلة محمد صلى الله عليه وسلم والحمد لله

عبدالحميد الحجوري الزعكري

١٤/ جمادى الأول/ ١٤٣٠

مركز الصابة بالغيضة

مقدمة الرسالة

يقول العبد الفقير إلى مولاه، الغني به عمن ســـواه، أبو العباس أنور بن محمود الرفاعي غفر الله له ولوالديه ومن والاه: الحمد لله الذي انفرد بالبقاء والقدم، وأخرج مخلوقاته إلى الوجود من العدم، حمداً لا يتناهى حده ولا ينقطع أمده، لا يحصى عدد ما أمدنا به من النعم، والصلاة والسلام على من أنار الله به الظُّلَم، وجعله سراجاً لا يعتم، وسيداً للعرب والعجم، ورحمة للعجماوات ومن تكلم.

أما بعد:

فأصـل هذه الرسـالة هو بحث في غاية الاقتصـاد، كتبته بقصـد تحقيق المراد، وكنتُ قد نشـرته قبل سـنوات لينتفع به العباد، ولما رأيته اليوم بالمصـادفة، شُـغفت لمراجعته مع إضـافات هادفة، فوضـعت له العنوان والمقدمة مع تعليقات ونقولات مهمة، وأعدت نشره ليعم نفعه بإذن الله في سائر البلاد؛ ابتغاء لمرضاة الله تعالى في الدنيا ويوم المعاد، ونســأله تعالى أن يجعلنا وإياكم من أهل التوفيق والســداد، إنه ولي ذلك وهو الكريم الجواد. وصلى الله وسلم على نبينا الصادق الأمين وعلى آله وصحبه والتابعين

كتبه

أنور بن محمود الرفاعي

١٥ / ٣ / ١٤٤٠

مدخل الرسالة

جاء في الحديث عن أوس بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي) . قال : قالوا : يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يقولون بليت ؟ فقال : (إن الله عز وجل حرم على الأرض أجساد الأنبياء)

أخرجه أبو داود (١٠٤٩) وابن ماجة (١٠٨٥) والنسائي (١٦٦٦) وأحمد (١٦١٦٢) وصححه العلامة الألباني في الارواء (١ / ٣٤) وصححه بشواهده شيخنا العلامة يحي نصره الله في كتابه "أحكام الجمعة"

فائدة :

قال شيخنا العلامة يحيى الحجوري حفظه الله :

أخرجه أبو داود رقم (١٠٤٧)، والنسائي (٣/٩١-٩٢)، وابن ماجه رقم (١٦٣٦) وغيرهم من طريق حسين بن علي الجعفي قال : حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، عن أبي الأشعث الصنعاني ، عن أوس بن أوس الثقفي ... فذكر الحديث .

وحسين بن علي الجعفي مولاهم : ثقة عابد ، قيل لسفيان بن عيينة : قدم حسين ، فوثب قائما وقال : قدم أفضل رجل يكون قط . وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ثقة، وأبو الأشعث الصنعاني

هو شـــراحيل بن آده . ومن تلك الطريق أخرجه أحمد (١٠٤/٤)، والنســـائي (٩٥/٣-٩٦)، وابن خزيمة (١٧٥٨/٣)، وابن حبان (١٩/٧-٢٠) وغيرهم من طريق حســان بن عطية، ويحيى بن الحارث الذماري ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وكلهم ثقات ، يروون هذا الحديث عن أبي الأشعث شـراحيل بن آده الصـنعاني ، وروى عنه غيرهم ، وشـراحيل وثقه ابن حبان والعجلي ، وروى له مسـلم والبخاري في الأدب المفرد . وقد اختلف فِي الْحَديث ؛ فقيل : عن أوس ، وقيل : عبد الرحْمَن بن عمرو بن العاص ، والصـــحيح: أنه عن أوس ، وحديثه باللفظ الأول ، قال الْمُنذري فِي الترغيب: له علة دقيقة أَشـــار إليها البخاري وغيره ليس هذا موضـــعها، وقد جَمعت طرقه فِي جزء، وقال الناجي فِي عجالة الإملاء: وليست هذه العلة قادحة؛ فإن للحديث شواهد من حديث جَماعات . قلت : وكونه له شـــواهد لا يدل أن طريقه هذه ليس فيها علة قادحة، لكن كما قال ابن عبد الْهَادي وغيره : إن له طرقًا يصـــلح بِهَا حالُه، وهو كما قال، أما حديث الثاني ففيه مبالغات، خالف فيها ما فِي الصـحيحين أن من فعل ذلك غفر له ما بينه وبين الْجُمعة الأخرى من حديث سلمان الفارسي وأبِي هريرة وغيرهما اهـ

قلت: وسنتحدث تحت مظلة هذا الحديث عن ثلاث مسائل فقط هي أساس البحث وخلاصته، ثم نذكر بعض الإشكالات والجواب عليها، وبهذا نخلص للنتيجة المرجوة بإذن الله تعالى.

المسألة الأولى :

هل صلاتنا لا تعرض عليه إلا في يوم الجمعة ؟

جاء عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لا تجعلوا بيوتكم قبورا ولا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**)

أخرجه أبو داود (٢٠٤٤) وأحمد (٨٨٠٤) وقال العلامة الألباني في صحيح أبي داود (٦ / ٢٨٢) : قلت : إسناده صحيح ، وكذا قال الحافظ ، وحسنه ابن القيم اهـ ، وحسنه الألباني نفسه في أحكام الجنائز (١ / ٢١٩)

قلت : وظاهر هذا الحديث أنه لا خصوصية للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة من حيث البلوغ وأنها تبلغه دائما ولهذا اختلفوا في المعنى :

قال الملا القاري في مرقاة المفاتيح (٥ / ٣٠) :

(فإن صلاتكم معروضة عليّ) يعني على وجه القبول فيه ، وإلا فهي دائماً تعرض عليه بواسطة الملائكة اهـ

وقال العلامة السندي في حاشيته على سنن ابن ماجة (٢ / ٤٢٧) :

معنى عرض الصلاة عند العلامة السندي رحمه الله

هذا تعليل للتفريع أي هي معروضة عليّ كعرض الهدايا على من أهديت إليه، فهي من الأعمال الفاضلة ومقربة لكم إليّ، كما يقرب الهدية المهدي إليه، وإذا كانت بهذه المثابة، فينبغي إكثار

باقي الأوقات الفاضلة، فإن العمل الصالح يزيد فضلاً بواسطة فضل الوقت، وعلى هذا لا حاجة إلى تقييد العرض بيوم الجمعة اهـ

قلت: يعني أنها تعرض عليه دائما، ولكن عرضها في الأيام الفاضلة (الجمعة) يختلف فهي تعرض كالهدايا

وقال العلامة الشوكاني اليماني في تحفة الذاكرين (١ / ٤٦) :

وظاهر الجميع أن كل صلاة وسلام تبلغه صلى الله عليه وسلم وسواء كان ذلك في يوم الجمعة أو في غيره من الأيام أو الليالي فلعل في العرض عليه زيادة على مجرد الإبلاغ إليه ويكون ذلك من خصائص الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة اهـ

الفرق بين العرض والابلاغ عند العلامة الشوكاني رحمه الله

قلت : وذلك أن كلمة (صلاتكم تبلغني) جاءت في الصلاة في أي زمان ومكان ، وكلمة (صلاتكم معروضة علي) جاءت من خصوصيات الجمعة وبناء على ذلك فرق العلامة الشوكاني من خلال اللفظين بين المعنيين ، وجعل العرض زيادة على مجرد الإبلاغ ، وهذا جمع دقيق أبقى للصلاة عليه في يوم الجمعة خصوصيته والحمد لله

المسألة الثانية :

هل النبي صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة والسلام عليه ؟

لا شك أنه صلى الله عليه وسلم لا يسمع صلاة من صلى وسلم عليه ؛ فالذي عبرت عنه النصوص هو (البلوغ) و (العرض) وهذه الألفاظ لا تدل على (السماع)

قال شيخ الإسلام في الرد على الأخنائي (١ / ١٣٣) :

فهذه الأحاديث المعروفة عند أهل العلم التي جاءت من وجوه حسان يصدق بعضها بعضا وهي متفقة على أنه من صلى عليه وسلم عليه من أمته فان ذلك يبلغه ويعرض عليه وليس في شيء منها أنه يسمع صوت المصلي والمسلم بنفسه إنما فيها من ذلك يعرض عليه ويبلغه صلى الله عليه وسلم في مدينته ومسجده أو مكان آخر فعلم أن ما أمر الله به من ذلك فانه يبلغه وأما من سلم عليه عند قبره فانه يرد عليه ذلك كالسلام على سائر المؤمنين اهـ

وقال أيضا (١ / ١٣٣) :

فأما ذاك الحديث وإن كان معناه صحيحا فإسناده لا يحتج به وإنما يثبت معناه بأحاديث أخر فانه لا يعرف إلا من حديث محمد بن مروان السدي الصغير عن الأعمش كما ظنه البيهقي وما ظنه في هذا هو متفق عليه عند أهل المعرفة بالحديث وهو عندهم موضوع على الأعمش قال عباس الدوري عن يحيى بن معين : محمد بن مروان ليس بثقة ، وقال البخاري : سكتوا عنه لا

يكتب حديثه البتة ، وقال الجوزجاني : ذاهب الحديث ، وقال النسائي : متروك الحديث ، وقال صالح جزرة :كان يضع الحديث ، وقال أبو حاتم الرازي الازدي : متروك الحديث ، وقال الدارقطني : ضعيف ، وقال ابن حبان : لا يحل كتب حديثه لا اعتباراً ولا للاحتجاج به بحال ، وقال ابن عدي : عامة ما يرونه غير محفوظ والضعف على روايته بين . فهذا الكلام على ما ذكره من الحديث مع أنا قد بينا صحة معناه بأحاديث أخر وهو لو كان صحيحا فإنما فيه أنه يبلغ صلاة من صلى عليه نائياً ، ليس فيه أنه يسمع ذلك كما وجدته منقولا عن هذا المعترض ؛ فان هذا لم يقله أحد من أهل العلم ولا يعرف في شيء من الحديث وإنما يقوله بعض المتأخرين الجهال يقولون إنه ليلة الجمعة ويوم الجمعة يسمع بأذنيه صلاة من يصلي عليه فالقول إنه يسمع ذلك من نفس المصلي باطل وإنما في الأحاديث المعروفة أنه يبلغ ذلك ويعرض عليه وكذلك السلام تبلغه إياه الملائكة وقول القائل إنه يسمع الصلاة من البعيد ممتنع فإنه إن أراد وصول صوت المصلي إليه فهذه مكابرة وإن أراد أنه هو يكون بحيث يسمع أصوات الخلائق من بعيد فليس هذا إلا لله رب العالمين الذي يسمع أصوات العباد كلهم ؛ قال تعالى : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾ وقال : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ﴾ الآية وليس أحد من البشر بل ولا من الخلق يسمع أصوات العباد كلهم ومن قال هذا في بشر فقوله من جنس قول النصارى الذين يقولون إن المسيح هو الله وإنه يعلم ما يفعله العباد ويسمع أصواتهم ويجب دعائهم اهـ

قال العلامة الألباني رحمه الله في تحذير الساجد (صـ / ١١٧) :

قوله : " تبلغني " هذا الحديث وغيره مما تقدم صريح في أنه عليه الصلاة و السلام لا يسمع صلاة المصلين عليه فمن زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم يسمعها فقد كذب عليه فكيف حال من يزعم أنه صلى الله عليه و سلم يسمع غيرها ؟ اهـ

وقال أيضا في الضعيفة (١ / ٣٦٩) :

ويؤيد بطلان قول أولئك الجهال قوله صلى الله عليه وسلم : (أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإن صلاتكم تبلغني ...) الحديث وهو صحيح كما تقدم (ص ٣٦٤) فإنه صريح في أن هذه الصلاة يوم الجمعة تبلغه ولا يسمعها من المصلي عليه صلى الله عليه وسلم اهـ

المسألة الثالثة :

هل يشترط في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم الذهاب إلى عند قبره أو الاتجاه ناحية القبر أو رفع الصوت ؟

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى (٢٧ / ٣٢٣) :

وكان المسلمون على عهده ، وعهد أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي يصلون في مسجده ويسلمون عليه في الصلاة ، وكذلك يسلمون عليه إذا دخلوا المسجد وإذا خرجوا منه **ولا يحتاجون أن يذهبوا إلى القبر المكرم ، ولا أن يتوجهوا نحو القبر ويرفعوا أصواتهم بالسلام** كما يفعله بعض الحجاج ، بل هذا بدعة لم يستحبها أحد من العلماء ، بل كرهوا رفع الصوت في مسجده ، وقد رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلين يرفعان أصواتهما في مسجده ورآهما غريبين فقال : أما علمتما أن الأصوات لا ترفع في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ لو أنكما من أهل البلد لأوجعتكما ضرباً . وعذرهما بالجهل فلم يعاقبهما اهـ

تخصيص الذهاب للقبر من أجل الصلاة عليه ورفع الصوت من البدع

فصل

ذكر بعض الإشكالات والجواب عليها

الإشكال الأول :

ثبت أنه صلى الله عليه وسلم يرد السلام على من سلم عليه فكيف يرد وهو لم يسمع لأن ثبوت الرد على السموع دليل على ثبوت السماع

الجواب :

أولاً : درجة الحديث

نعم ثبت عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ما من أحد يسلم على إلا رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام**)

وهذا الحديث أخرجه أحمد (١٠٨١٥) وأبو داود (٢٠٤٣) والبيهقي في الشعب (٤١٦١) وفي السنن (١٠٠٥٠) والطبراني في الأوسط (٣٠٩٢)

قال الإمام الألباني رحمه الله تعالى في صحيح أبي داود :

إسناده حسن ، وقال العراقي : " جيد "، وقال الحافظ : " رجاله ثقات " . إسناده : حدثنا محمد بن عوف: ثنا المقرئ: ثنا حَيْوَة عن أبي صخر حُمَيْدِ بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيْطٍ عن أبي هريرة . قلت : وهذا إسناد حسن ، رجاله كلهم ثقات ؛ غير أن حميد بن زياد قد تكلم فيه بعضهم من قبل حفظه، ولا ينزل ذلك حديثه عن مرتبة الحسن. وإلى ذلك أشار الحافظ بقوله : " صدوق يهم ". ولذلك قال في "الفتح " (٦/٣٧٩) : " ورجاله ثقات ". وقال شيخه الحافظ العراقي في "تخريج الإحياء" (١/٢٧٩) : "سنده جيد ". والمقرئ : هو عبد الله بن يزيد

أبو عبد الرحمن المصـــري . ومن طريقه : رواه الطبراني في "الأوســـط " (٣١١٦) . والحديث أخرجه أحمد (٥٢٧/٢) : ثنا عبد الله بن يزيد... به. وأخرجه البيهقي (٢٤٥/٥) وغيره من طريق أخرى عن المقرئ... به وهو مخرج في "الصحيحة" (٢٢٦٦) اهـ

قلت : وظاهره يتعارض مع اعتراض العلماء الذين سـبق النقل عنهم فقد يقول قائل : إن ثبوت الرد على المسموع دليل على ثبوت السماع ، وللجواب على هذا الإشكال نقول :

ثانياً : فقه الحديث

قال العلامة ابن عثيمين في شرح رياض الصالحين (١ / ١٦٠٧) :

وكذلك الحديث الثاني أنه ما من رجل مسـلم يسـلم على النبي صـلى الله عليه وسـلم إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السـلام ، فإذا سـلمت على النبي صـلى الله عليه وسـلم رد الله عليه روحه فرد عليك السلام والظاهر أن هذا فيمن كان قريبا منه كأن يقف على قبره ويقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ويحتمل أن يكون عاماً والله على كل شيء قدير اهـ

وقال العلامة عبيد الله بن محمد خان المباركفوري في مرعاة المفاتيح (٣ / ٢٦٣) :

ظاهره الإطلاق الشـامل لكل مكان وزمان ، فيكون فيه دليل على حصـول فضـيلة رد السـلام لكل مسلم قريباً كان أو بعيداً ، وعلى أنه صلى الله عليه وسلم يرد السلام على من يسلم عليه من جميع الآفاق من جميع أمته على بُعد شـقته ، لكن فهم عامة العلماء منه أن المراد السـلام عليه عند قبره ، فيدل على تخصيص رد السلام بالقريب من القبر اهـ

وقال العلامة عبدالمحسن العباد في شرح أبي داود (١٠ / ٣٩١) :

وهذا الحديث يدل على أن سلام المسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصل إليه، ولكن ليس فيه دليل على أنه يسمع سلام المسلم، وإنما فيه دليل على أن الله يرد عليه روحه حتى يرد السلام، والسلام إنما يصل إليه عن طريق الملائكة الذين يبلغون الرسول صلى الله عليه وسلم السلام من قريب ومن بعيد ، كما في الحديث: (إن لله ملائكة سياحين يبلغونني عن أمتي السلام) ولهذا جاء عن علي بن الحسين رحمه الله : أنه رأى رجلاً يأتي إلى فرجة عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: ألا أحدثك بحديث سمعته عن أبي عن جدي؟ إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) ثم قال: ما أنت ومن بالأندلس إلا سواء. قوله : (تبلغني حيثما كنتم) يعني: بواسطة الملائكة . فالحديث ليس فيه نص على أن هذا خاص فيمن يسلم عليه عند قبره صلى الله عليه وسلم وأنه يسمعه، وإنما هو عام، والرسول صلى الله عليه وسلم يبلغه السلام بواسطة الملائكة سواء عن قرب أم بعد، سواء كان في مسجده وعند قبره أو في أي مكان من الأرض، وهذا يدخل فيه السلام والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم اهـ

وقال العلامة الألباني رحمه الله في تحقيقه على كتاب الآيات البينات للعلامة الألوسي رحمه الله (صـ / ٧٩) :

وأما حديث : (من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا أبلغته) فهو موضوع كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في " مجموع الفتاوى " (٢٧ / ٢٤١) وقد خرجته في " الضعيفة " (٢٠٣) . ولم أجد دليلاً على سماعه صلى الله عليه وسلم سلام من سلم عند قبره وحديث أبي داود ليس صريحا في ذلك فلا أدري من أين أخذ ابن تيمية قوله

(٢٧ / ٣٨٤) : أنه صلى الله عليه وسلم يسمع السلام من القريب وحديث ابن مسعود المتقدم مطلق . والله أعلم اهـ

قلت : حديث ابن مسعود هو : (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام) وهو حديث صحيح وسيأتي

وأما عن تساؤل العلامة الألباني بقوله :

(فلا أدري من أين أخذ ابن تيمية قوله أنه صلى الله عليه وسلم يسمع السلام من القريب) اهـ

فالجواب عليه بعد تتبع كلام شيخ الإسلام رحمه الله تعالى من مجموع الفتاوى رأيت من أين أخذ ذلك حيث فرق بين الأحاديث فأخذ من حديث رد الروح ورد السلام أن هذا في حق القريب وأنه سمع ذلك بنفسه ، وأخذ من حديث تبليغ الملائكة له السلام عن أمته أن هذا في حق البعيد

قال كما في مجموع الفتاوى (٢٧ / ١٦) :

ولكن الذي في السنن ما رواه أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من رجل يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) فهو يرد السلام على من سلم عليه عند قبره ويبلغ سلام من سلم عليه من البعيد كما في النسائي عنه أنه قال : (إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام) وفي السنن عنه أنه قال : (أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ فقال : إن الله قد حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء) فبين صلى الله عليه وسلم أن الصلاة والسلام توصل إليه من البعيد اهـ

وقال في (٢٧ / ١١٦) :

وقد روى ابن أبي شيبة والدارقطني عنه : (من سلم علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا أبلغته) وفي إسناده لين . لكن له شواهد ثابتة ؛ فإن إبلاغ الصلاة والسلام عليه من البعد قد رواه أهل السنن من غير وجه . كما في السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي . قالوا : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ أي بليت . فقال : إن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء) وفي النسائي وغيره عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن الله وكل بقبري ملائكة يبلغوني عن أمتي السلام) اهـ

وقال في (٢٧ / ٣٢٥) :

قال سفيان التمار إنه رأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسنما ولكن كان الداخل يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله : (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) وهذا السلام مشروع لمن كان يدخل الحجرة . وهذا السلام هو القريب الذي يرد النبي صلى الله عليه وسلم على صاحبه . وأما السلام المطلق الذي يفعل خارج الحجرة وفي كل مكان فهو مثل السلام عليه في الصلاة وذلك مثل الصلاة عليه . والله هو الذي يصلي على من يصلي عليه مرة عشرا ويسلم على من يسلم عليه مرة عشرا . فهذا هو الذي أمر به المسلمون خصوصا للنبي صلى الله عليه وسلم بخلاف السلام عليه عند قبره فإن هذا قدر مشترك بينه وبين جميع المؤمنين فإن كل مؤمن يسلم عليه عند قبره كما يسلم عليه في الحياة عند اللقاء . وأما الصلاة والسلام في كل مكان والصلاة على التعيين فهذا إنما أمر به في حق النبي صلى الله عليه وسلم فهو الذي أمر العباد أن يصلوا عليه ويسلموا تسليما . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما اهـ

وقال في (٢٧ / ٣٨٤) :

وهو صلى الله عليه وسلم يسمع السلام من القريب وتبلغه الملائكة الصلاة والسلام عليه من البعيد كما في النسائي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام) . وفي السنن عن أوس بن أوس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة فإن صلاتكم معروضة علي . قالوا : وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ فقال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء) . صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما اهـ

قال العلامة السندي رحمه الله في فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٢ / ٤٤٧) :

قوله : (ما من أحد يسلم عليّ) ظاهر عموم (ما من أحد) يشمل من كان قريبًا وقت السلام أو بعيدًا وكذا إطلاق . قوله : (يسلم عليّ) بظاهره يشمل حال الحياة وبعد الممات لكن رد الروح لا يناسب حال الحياة فيجب تخصيصه بما بعد الممات ، وأما تخصيصه بالقريب الزائر فكأن المصنف أخذه من أن السلام إذا لم يسمع لا يحتاج إلى رده ، فمقتضى أنه يباشر بالرد أنه يسمعه ، والسماع عادة يكون في القريب دون البعيد فيخص الحديث بالقريب الزائر فيؤخذ منه جواز الزيارة ، ويحتمل أنه أخذ جواز الزيارة من إطلاق (ما من أحد) لأنه يشمل القريب كما يشمل البعيد ، وشموله للقريب يكفي في المطلوب ، ولا حاجة إلى التخصيص والله تعالى أعلم اهـ

قلت : قول الشارح : وأما تخصيصه بالقريب الزائر فكأن المصنف أخذه من .. الخ لا أدري من أين نسب هذا القول للمصنف رحمه الله ولكننا نأخذ من ذلك أن القول الذي استغربه العلامة الألباني من شيخ الإسلام هو قول لغيره أيضاً

ثالثاً : الترجيح

رأيتم اعتراض العلامة الألباني على هذا المذهب وهو اعتراض قوي ؛ ووجه قوته أنه صلى الله عليه وسلم قال : (رد الله على روحي حتى أرد عليه السلام) **وليس فيه ما يدل أنه سمع ذلك بل هو أصرح بعدم السماع ؛ فالسلام عليه كان قبل رد روحه عليه دل أنه لم يسمع ، ورد السلام حصل بعد رد روحه عليه دل أنه بُلِّغ بذلك تبليغا عن طريق الملك ولو كان يسمع ما احتاج أن يبلغه الملك بشيء قد سمعه .**

ومن هنا عدنا للحديث الأول وهو : (فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) أي سواء كان المصلي عليه عند القبر أو نائياً عن القبر فإنها تبلغه دل أنه لا يسمع ذلك ، ولا يصح تخصيص البلوغ في الصلاة والسماع في السلام ؛ فقد ثبت أن السلام أيضاً إنما يبلغه بلوغاً ففي الحديث عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام) رواه الحاكم ، والطبراني ، والدارمي ، والبيهقي ، وابن حبان ، وأبو يعلى ، والبزار ، وابن أبي شيبة ، وعبدالرزاق ، وصحح إسناده الإمام النووي في رياض الصالحين ، والعلامة ابن القيم في جلاء الأفهام (١ / ٦٠) والألباني في تحقيق الآيات البينات (صـ / ٨٠) فيكون الجمع أن الصلاة أو السلام يبلغه أولاً ويكون الرد ثانياً .

وبهذا الجمع المبني على النصوص السابقة لم نعد بحاجة للقول إن السلام عليه المقصود به عند قبره فقط ، ولا أن نفرق بين الصلاة عليه والسلام عليه ، وقد ذهب الإمام الشوكاني رحمه الله في النيل (٥ / ١٥٦) أنه (ليس في الحديث ما يدل على اعتبار كون المسلّم عليه على قبره ، بل ظاهره أعم من ذلك) والعمل حتى الساعة على هذا الجمع ؛ للتعليل السابق إلا أن يظهر لنا في المسألة مزيد علم يزيدنا ثباتا فيها أو رجوعا عنها .. والله أعلم

إلى هنا كنت قد انتهيت من بحث هذه المسألة وتدوين خلاصتها بما ظهر لي أنه الحق ثم عدت للبحث بحثاً عن إمام أسند إليه ظهري بالجمع الذي قلته فرأيت هذا الكلام للعلامة الألباني رحمه الله كما رأيته يصرح أنه لم يستدل بهذا أحد قبله ، ولأخرج كلامي عن كلامه ولله الحمد حيث قال :

فجوابا عن سؤالك بعد المقدمة هذه قال عليه السلام : (ما من مسلم يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي فأرد عليه السلام) لما الملك يبلغه فلان صلى عليك أو سلم عليك الله برد الروح إلى جسده فيرد السلام هذه من خصوصيات الرسول الأنبياء اشتركوا مع الرسول في بقاء أبدانهم لكن الله اصطفى الرسول بأن وكل ملك يطوف الدنيا أو ملائكة كلما سمعوا أحدا يصلي على الرسول فلان صلى عليك فهو يسلم عليه ويصلي عليه .

فإذا لنقرب الموضوع بأن الرسول عليه السلام الآن يعيش في أسمى حياة برزخية كأول جزاء على جهاده ونشره للإسلام بلا شك أنا ذكرت آنفا الشهداء والمؤمنين الصالحين يقول الرسول عليه السلام بالنسبة للشهداء (أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تعلق من ثمر الجنة) فأبدان الشهداء في قبورهم لكن أرواحهم تنطلق وتأكل من ثمار الجنة بواسطة الطيور هذه الخضر وأرواح الشهداء في الحواصل بالنسبة للمؤمنين يقول : (أرواح المؤمنين في بطون طيور خضر تعلق من ثمر الجنة) فإذا هذا نعيم الأنبياء فيكون بلا شك أسمى

وأعلى من نعيم الشهداء والمؤمنين الصالحين ، ومعنى هذا الكلام كله أنه فيه اتصال بين الروح وبين الجسد بالنسبة للأنبياء لأن أجسادهم كما ذكرنا حية فما فيه غرابة حينئذ ما دام جسده حي والروح تبعه متصلة به كما شاء الله عز وجل والملائكة يوصلون خبر المصلين عليه فالقضية أصبحت واضحة والحمد لله اهـ

وقال رحمه الله في تعليقه على رسالة الألوسي " الآيات البينات " (صـ / ٣٧) :

أقول : ووجه الاستدلال به أنه صريح في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسمع سلام المسلمين عليه إذ لو كان يسمعه بنفسه لما كان بحاجة إلى من يبلغه إليه كما هو ظاهر لا يخفى على أحد إن شاء الله تعالى . وإذا كان الأمر كذلك فبالأولى أنه صلى الله عليه وسلم لا يسمع غير السلام من الكلام وإذا كان كذلك فلأن لا يسمع السلام غيره من الموتى أولى وأحرى

ثم إن الحديث مطلق يشمل حتى من سلم عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره ولا دليل يصرح بالتفريق بينه وبين من صلى عليه بعيداً عنه والحديث المروي في ذلك موضوع كما سيأتي بيانه في التعليق (ص ٨٠) **وهذا الاستدلال لم أره لأحد قبلي فإذا كان صوابا - كما أرجو - فهو فضل من الله ونعمة وإن كان خطأ فهو من نفسي والله تعالى أسأل أن يغفره لي وسائر ذنوبي اهـ**

الإشكال الثاني :

كيف يرد السلام على كل من سَلّم عليه
والذين يسلمون عليه كثير لا يحصي عددهم إلا الله تعالى
فكيف يرد عليهم جميعاً

الجواب :

قال الإمام الألباني رحمه الله تعالى :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من رجل يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي فأرد عليه السلام) فهذا حديث ثابت في مرتبة الحسن عند علماء الحديث وممن أثبته شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره وهو من الأحاديث المتعلقة بعالم البرزخ وعالم البرزخ هو من جملة العوالم الغيبية التي لا يطيق العقل البشري عادة أن يصل إليها أو أن يستكشف حقائقها فإذا جاءنا شيء عن الرسول صلى الله عليه وسلم فضلاً عن القرآن الكريم يتحدث عن بعض هذه المغيبات فواجبنا حين ذاك كما قال تعالى : ﴿ ويسلموا تسليما ﴾ لأن هذا التسليم هو

علاقة الحديث بعالم البرزخ الذي يعجز العقل البشري عن معرفة حقيقته

الذي يدل على كمال المسلم المسلِّم بهذا النص كما قال تعالى : ﴿ ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ﴾ من هم المتقون ؟ ﴿ الذين يؤمنون بالغيب ﴾

والغيب لغة : كل ما غاب عن علمك وعقلك فهو غيب فإذا جاء أمر يتعلق بالغيب منقولاً عن الكتاب أو عن السنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم وجب التسليم به كما ذكرنا وإن جاء مثل هذا الأمر الغيبي عن بعض الآراء ، آراء الرجال فلا يجوز التسليم به ؛ لأنه يدخل في باب الخرافات والرجم بالغيب والحديث السابق هو من أحاديث الغيب يجب التسليم به ولا يجوز التوسع في محاولة الكشف عن حقيقة هذا الخبر

كيف يرد السلام على الذين يسلمون عليه وهم كثير لا يحصي عددهم إلا الله تعالى

فلا يجوز التساؤل كيف الرسول عليه السلام يرد السلام على المسلّمين عليه و هم في اللحظة الواحد ما يحصي عددهم إلا الله تبارك وتعالى ؛ لأننا نقول هذا أمر غيبي لا يجوز التوسع فيه وإنما نؤمن بالمقدار الذي حدثنا به الحديث ... (ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي ...) نعم اهـ

الإشكال الثالث :

إذا كانت الصلاة والسلام عليه لا تتوقف من ألسن المسلمين على الدوام فكيف ترد عليه روحه وهل تبقى دائماً مردودة حتى يتوقف المسلمون من السلام عليه

الجواب :

والجواب على هذه المسألة نلخصه خمسة أجوبة :

الجواب الأول : أننا لا نخالف النص بالعقل ؛ لأن العقل مأمور بالاستجابة للنصوص وأن يتفكر لاستيعاب معانيها لا أن يتولى الحكم بتقييمها والحكم عليها ؛ فالنص من الوحي والعقل محكوم به لا حاكم عليه ، وقد جرت عادة العقل أنه يتقبل الشيء اليوم ويرفضه في الغد ، أو يرفضه اليوم ويتقبله في الغد !! وهذا من عجيب تقلباته وتناقضاته ، وإنما يستنير العقل ويوفق للصواب في حال سَلَّم واستسلم للنص ، فإن فهم معناه فالحمد لله وإن لم يدرك ذلك فوض الأمر لله تعالى وسأل من هو أعلم منه به ، وأما أن نجعل كل مالا تدركه عقولنا من قبيل المردود والمشكوك في صحته بعلة مخالفته للمعقول !! فهذا من الباطل المشين والضلال المبين ؛ لأن ما صحة نسبته ولم تستوعبه عقول البعض دل أن الخلل كامن في عقولهم وليس فيه فافهم ذلك .

الجواب الثاني : أن هذا من الأمور الغيبية التي لا يمكن إدراكها ؛ لاختلاف الأحوال بين العالمين فأحوال حياة البرزخ التي هي أولى مراحل الآخرة ليست كأحوال الحياة الدنيا ؛ ففي القبر يعيش

الواحد في حفرة باعتبار عالمنا ولكنه من خلالها تفتح له بوابة إلى الجنة فيأتيه من نعيمها أو إلى النار فيأتيه من سمومها ، دل على ثبوت البينونة الحسية والمعنوية بين العالمين ، فممنوع الوجود في عالمنا قد يكون من قبيل ممكن أو واجب الوجود في عالمهم ، فلا تقاس التناقضات بينهما . وقد رأينا من خلال ما نراه في النوم من أحلامنا أن الواحد ينام الوقت القليل جداً يرى فيه أحداثاً كثيرة وربما يجرى المسافات الطويلة ويستيقظ وهو منهك من التعب ثم يتضح له أن نومته لم تتجاوز سوى لحظات يسيرة

الجواب الثالث : أن العلم المقطوع لا يعارض بالعلم المظنون ؛ فكون ألسن المسلمين لا تتوقف عن الصلاة والسلام عليه وأن روحه إن ردت عليه ليرد عليهم السلام فستبقى مردودة دائماً ، فهذا من العلم المظنون ؛ أعني عدم توقف ألسن المسلمين عن الصلاة والسلام عليه ، وأما عن رد الروح والرد على السلام فهو من العلم المقطوع ، فلا يعارض هذا بهذا .

كما أننا لو التزمنا بهذا اللازم وهو غير ملزم بدلالة الجواب الثاني لقلنا : إن الحديث دال على عدم استمرارية ألسن المسلمين بالصلاة والسلام عليه ؛ فإن رد الروح للرد عليهم دليل أن هناك بينونة بين السلام والسلام من مسلم لمسلم أخر من المُسَلِّمِين على النبي عليه الصلاة والسلام ، وهذه البينونة إما لتقصير من المسلمين أو لما ذكرناه في الجواب الثاني من اختلاف أحوال العالمين .

الجواب الرابع : أن روحه لا ترد عليه عند كل سلام ثم تفارقه حتى سلام من مُسَلِّمٍ آخر بل مقصد الحديث أنه ما من أحد يسلم عليه بعد موته إلا قد رد عليهم جميعاً ، وهذا الجواب سيأتي مفصلاً ومعللاً بعد قليل فانظره بتمعن

الجواب الخامس : أن القصد من رد الروح أي رد النطق وسيأتي شرح هذا الجواب بشكل مفصل بإذن الله

ثم رأيت هذا التساؤل قد عرض على الشيخ العلامة عبد المحسن العباد في درسه في شرح سنن أبي داود حيث قال السائل : حديث : (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي) ، هل فيه دلالة على حياته في قبره باستمرار ؛ لأنه لا يخلو وقت من السلام عليه ؟

فأجاب الشيخ حفظه الله بقوله : أمور الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل ، والإنسان يصدق بكل ما جاء من أمور الغيب ، ولا يقاس ذلك على ما هو معلوم ومدرك في أمور الحياة الدنيا ؛ لأن أمور الآخرة والبرزخ تختلف عن الحياة الدنيا ، فعلى الإنسان أن يصدق بالغيب ، فالرسول صلى الله عليه وسلم حي في قبره حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء التي أخبر الله عنها في القرآن بقوله : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ، بل إن المخلوقين من أصحاب القبور أحياء في قبورهم حياة برزخية ينعمون أو يعذبون ، فالموفق منعم والمخذول معذب ، والله تعالى أخبر عن النعيم وعن العذاب كما في القرآن : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ وهذا في عذاب القبر والحاصل لآل فرعون قبل يوم البعث والنشور، وفي حديث البراء بن عازب أنه يفتح –لمن وفقه الله– باب إلى الجنة فيأتيه من روحها ونعيمها، ويفتح لغيره باب إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في الفتح (٦ / ٤٨٨) :

وقد استشكل ذلك من جهة أخرى وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه في أقطار الأرض ممن لا يحصي كثرة وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة والله أعلم اهـ

قال العلامة السخاوي رحمه الله تعالى في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع (صـ / ١٧٣) :

فإن قلت : فقوله : (إلا رد الله علي روحي) لا يلتئم مع كونه حياً على الدوام بل يلزم منه أن تتعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة إذ الوجود لا يخلو من مسلم يسلم عليه كما تقدم بل يتعدد السلام عليه في الساعة الواحدة كثيراً ، فالجواب كما قال الفاكهاني وغيره أن نقول : المراد بالروح هنا النطق مجازاً فكأنه – صلى الله عليه وسلم – قال : إلا يرد الله إلى نطقي وهو صلى الله عليه وسلم حي على الدوام لكن لا يلزم من حياته النطق فالله سبحانه وتعالى يرد عليه النطق عند سلام كل مسلم عليه وعلاقة المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة فعبر – صلى الله عليه وسلم – بأحد المتلازمين عن الأخر اهـ

المراد برد الروح عند العلامة الفاكهاني رحمه الله

قلت : وقد أخطأ صاحب عون المعبود فنقل كلام الحافظ السخاوي باختصار يوهم أنه هو من طرح هذا الاعتراض فقال (٦ / ٢١) : وقال العلامة السخاوي في كتاب البديع رد روحه يلزمه تعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة إذ الكون لا يخلو من أن يسلم عليه بل قد يتعدد في آن واحد كثيرا ، وأجاب الفاكهاني وبعضهم بأن الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكأنه قال يرد الله علي نطقي اهـ

فجعل الاشكال من كلام السخاوي وجعل جواب الفاكهاني رد عليه وهذا غير صحيح فالعلامة السخاوي طرح الاشكال عن لسان غيره ثم ذكر كلام الفاكهاني كجواب عليه كما هو موضح من نقلنا له من مصدره فتنبه !!

الإشكال الرابع :

إذا كانت الروح في حواصل الطير في الجنة فإن ترك الصلاة عليه خير له من رجوع روحه للقبر ليرد على السلام

الجواب :

وهذا الإشكال قريب من الإشكال الذي قبله ويشتركون في نفس الجواب ونزيد عليه برد مستقل من عدة وجوه :

الوجه الأول: أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي أخبرنا أنه ترد عليه روحه ليرد السلام على من سلم عليه ، وهو الذي أمرنا بالصلاة والسلام عليه وهو أعلم بما هو خير له ولأمته ، بل إن الصلاة والسلام عليه أمر من أوامر الله تعالى والله تعالى لا يأمر إلا بخير قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾

الوجه الثاني: أنه لا يلزم من رد الروح استقرارها في القبر فالله سبحانه وتعالى قادر على رد روحه للجسد مع عدم مغادرتها للجنة ؛ وقد سبق أن أحوال البرزخ ليست كأحوالنا وأن أحوال الأرواح ليست كأحوال الأبدان ، فلا يصح القياس بين العالمين على هذا النحو

الوجه الثالث : أنه قد قيل إنه يحتمل أن رد الروح لرد السلام حالة خاصة بمن سلم عليه من عند قبره وليس في حق البعيد وهذا مفهوم من كلام العلامة ابن عثيمين السابق فعد إليه فعلك تجد فيه ما لم أجده وتفهم منه خلاف مافهمته .

الإشكال الخامس :

تكرار رد الروح عند كل رد على السلام يلزم منه عودتها وهذا معناه تعددت الموتات وهذا محال

الجواب :

الجواب من عدة أوجه :

الأول : أن هذا القول غير ملزم ؛ لأنه لا يلزم من ردها للجسد مفارقتها لموضعها الآخر التي استقرت فيه بعد الموت .

الثاني : أن رد الروح يطلق ويراد به قيام البدن ببعض حركات الحياة ؛ لأن ذلك لا يتم إلا بوجودها والمقصود به هنا النطق ، فالله تعالى قادر على رد النطق له ليرد السلام على من سلم عليه دون مفارقة الروح لمكانها سواء بنوع اتصال أو بهيئة لا يعرفها إلا هو وسبق أنه لا قياس بين أحوال العالمين

الثالث : أن الروح لا ترد عند كل سلام وإنما يعني أنها قد ردت من قبل وسلم على كل من سلم عليه قبل أن يسلم

قال الشيخ تاج الدين الفاكهاني :

فإن قلت : قوله : (إلا رد الله علي روحي) لا يلتئم مع كونه حياً دائماً بل يلزم منه أن تتعدد حياته ومماته فالجواب أن يقال : معنى الروح هنا النطق مجازاً ؛ فكأنه قال : إلا رد الله علي نطقي وهو حي دائماً لكن لا يلزم من حياته نطقه فيرد عليه نطقه عند سلام كل أحد وعلاقة المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة فعبر صلى الله عليه و سلم بأحد المتلازمين عن الآخر ، ومما يحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين لقوله تعالى : ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ اهـ

فصل جامع

في الرد على جميع الإشكالات السابقة

منقول من أقوال العلماء في تفسير حديث

(رد الله علي روحي)

قال الإمام السيوطي رحمه الله تعالى في مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (٢ / ٣١٠)

وقع السؤال عن الجمع بين هذا الحديث وبين حديث الأنبياء أحياء وفي قبورهم يصلون وسائر الأحاديث الدالة في حياة الأنبياء فإن ظاهر الأول مفارقة الروح في بعض الأوقات وألفت في الجواب عن ذلك تأليفا سميته انتباه الأذكياء بحياة الأنبياء ، وحاصل ما ذكرته فيه خمسة عشر وجها أقواها أن قوله : (رد الله روحي) جملة حالية وقاعدة العربية أن جملة الحال إذا صدرت بفعل ماض قدرت فيه كقوله تعالى : ﴿ أو جاءوكم حصرت صدورهم ﴾ أي قد حصرت ، وكذا ها هنا يقدر (قد) والجملة ماضية سابقة على السلام الواقع من كل أحد وحتى ليست للتعليل بل لمجرد العطف بمعنى الواو فصار تقدير الحديث : (ما من أحد يسلم علي إلا قد رد الله على روحي قبل ذلك وأرد عليه)

وإنما جاء الإشكال من أن جملة : (رد الله علي روحي) بمعنى حال ، أو استقبال ، وظن أن حتى تعليلية ولا يصح كل ذلك ، وبهذا الذي قدرناه ارتفع الإشكال من أصله .

ويؤيده من حيث المعنى أن الرد لو أخذ بمعنى حال أو استقبال للزم تكرره عند تكرر المسلمين ، وتكرر الرد يستلزم تكرر المفارقة ، وتكرر المفارقة يلزم عليه محذورات :

- منها تألم الجسد الشريف بتكرار خروج روحه وعوده أو نوع ما من مخالفة تكرير إن لم يتألم ومنها مخالفة سائر الناس من الشهداء وغيرهم إذا لم يثبت لأحدهم أنه يتكرر له مفارقة روحه وعوده بالبرزخ وهو صلى الله عليه وسلم أولى بالاستمرار الذي هو أعلى رتبة
- ومنها مخالفة القرآن إذ دل أنه ليس إلا موتتان وحياتان وهذا التكرار يستلزم موتات كثيرة وهو باطل
- ومنها مخالفة الأحاديث المتواترة الدالة على حياة الأنبياء وما خالف القرآن والسنة المتواترة وجب تأويله وإن لم يقبل التأويل كان باطلاً

... وبعد أن سطرت هذا الجواب استنباطاً وقررته رأيت هذا الحديث مخرجاً في كتاب حياة الأنبياء للبيهقي بلفظ : (إلا وقد رد الله علي روحي) فصرح فيه بلفظ : (وقد) فحمدت الله كثيراً ، وقوي أن رواية اسقاطها محمولة على اضمارها وأن حذفها من تصرف الرواة ، ثم رأيت البيهقي قال في شعب الايمان : قوله : (إلا رد الله علي روحي) معناه والله أعلم ، إلا وقد رد الله علي روحي فأرد عليه السلام فحمدت الله عوداً على بدء اهـ

وقال العلامة السندي في فتح الودود في شرح سنن أبي داود (٢ / ٤٤٩) :

قوله : (إلا رد الله عليّ روحي) من قبيل حذف المعلول وإقامة العلة مقامه، وهذا فن في الكلام شائع في الجزاء والخبر مثل: ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ ﴾ ، أي فلا تحزن فقد كذب فحذف

الجزاء وأقيم علته مقامه، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ ﴾ أي نجزيهم ولا نضيع عملهم ؛ لأنا لا نضيع فكذلك ها هنا الخبر المحذوف بإقامة العلة مقامه، أي إلا رد – عليه السلام –، فقد رد الله عليَّ روحي بعد الموت فأنا حي أقدر على رد السلام، وقوله : (حتى أرد عليه) أي فبسبب ذلك أرد عليه ، فحتى ها هنا حرف ابتداء تفيد السببية مثل مرض فلان حتى لا يرجونه ، لا بمعنى كي ، فإن أفعاله تعالى لا تعلل بأغراض وإنما يترتب عليه حكم ومصالح ، وبهذا اتضح معنى الحديث وضوحًا بينًا، وظهر أن الحديث لا يخالف ما ثبت من حياة الأنبياء عليهم السلام أصلًا، وللحافظ السيوطي ها هنا أجوبة كثيرة لا تخلو عن نوع تكلف مع عدم الحاجة إليها فتركتها لذلك ولما فيه من تطويل الكلام والله تعالى أعلم اهـ

وقال الإمام البيهقي رحمه الله في كتاب الاعتقاد (١ / ٣٠٦) :

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعدما قبضوا ردت إليهم أرواحهم فهم أحياء عند ربهم كالشهداء وقد رأى نبينا صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ليلة المعراج وأمر بالصلاة عليه والسلام عليه وأخبر وخبره صدق أن صلاتنا معروضة عليه وأن سلامنا يبلغه وأن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء وقد أفردنا لإثبات حياتهم كتاباً فنبينا صلى الله عليه وسلم كان مكتوباً عند الله عز وجل قبل أن يخلق نبيا ورسولا وهو بعد ما قبضه نبي الله ورسوله وصفيه وخيرته من خلقه والذين يبلغون عنه أوامره ونواهيه خلفاؤه فرسالته باقية وشريعته ظاهرة حتى يأتي أمر الله عز و جل صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما اهـ

وقال الإمام السيوطي رحمه الله في المصدر السابق (٢ / ٣١١) :

ولفظ الرد قد لا يدل على المفارقة بل كنى به عن مطلق الصيرورة وحسنه هنا مراعاة المناسبة اللفظية بينه وبين قوله : (حتى أرد عليه السلام) فجاء لفظ الرد في صدر الحديث لمناسبة ذكره بآخره اهـ

قال العلامة تاج الدين الفاكهاني في الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير (مخطوطة ص ١٢) وفيها اختلافات على ما نقله صاحب عون المعبود :

وروينا في الترمذي أيضاً قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام).

قلت : يؤخذ من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حي على الدوام ؛ وذلك أنه محال أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم في ليل أو نهار. فإن قلت : فقوله عليه الصلاة والسلام : (إلا رد الله علي روحي) لا يلتئم مع كونه حياً على الدوام ، بل يلزم منه أن تتعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة ؛ إذ الوجود لا يخلو من مسلم يسلم عليه كما تقدم ، بل يتعدد الكلام في الساعة الواحدة كثيراً ؟.

فالجواب : والله أعلم أن نقول : المراد بالروح هنا : النطق مجازاً ، فكأنه قال عليه السلام : إلا رد الله علي نطقي وهو عليه السلام حي على الدوام كما تقدم ، لكن لا يلزم من حياته نطقه ، فالله سبحانه وتعالى يرد عليه النطق عند سلام كل مسلم ، وعلاقة المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح ، كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة ، فعبر عليه السلام بأحد المتلازمين عن الآخر. ومما يحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين ﴾ اهـ

وقال أبو الطيب العظيم آبادي في عون المعبود (٦ / ٢٠) :

وقال العلامة السخاوي في كتاب البديع رد روحه يلزمه تعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة إذ الكون لا يخلو من أن يسلم عليه بل قد يتعدد في آن واحد كثيرا ، وأجاب الفاكهاني وبعضهم : بأن الروح هنا بمعنى النطق مجازا فكأنه قال يرد الله علي نطقي ، وقيل : إنه على ظاهره بلا مشقة ، وقيل : المراد بالروح ملك وكل بإبلاغه السلام وفيه نظر . قال الخفاجي في نسيم الرياض شرح الشفاء للقاضي عياض : واستعارة رد الروح للنطق بعيدة وغير معروفة وكون المراد بالروح الملك تأباه الإضافة لضمير إلا أنه ملك كان ملازماً له فاختص به على أنه أقرب الأجوبة وقد ورد في بعض الأحاديث ، قال أبو داود : بلغني أن ملكاً موكلاً بكل من صلى عليه صلى الله عليه وسلم حين يبلغه ، وقد ورد أيضا إطلاق الروح على الملك في القرآن وإذا خص هذا بالزوار هان أمره ، وجملة : (رد الله علي روحي) حالية ولا يلزمها (قد) إذا وقعت بعد (إلا) كما ذكره في التسهيل وهو استثناء من أعم الأحوال ، وبالجملة فهذا الحديث لا يخلو من الإشكال اهـ

قلت : سبق التنبيه حول نقل المؤلف لكلام السخاوي بغير معناه الصحيح

قال العلامة الخفاجي رحمه الله كما في عون المعبود (٦ / ٢١) :

أقول : الذي يظهر في تفسير الحديث من غير تكلف أن الأنبياء والشهداء أحياء وحياة الأنبياء أقوى وإذا لم يسلط عليهم الأرض فهم كالنائمين ، والنائم لا يسمع ولا ينطق حتى ينتبه كما قال الله تعالى : ﴿ والتي لم تمت في منامها ﴾ الآية فالمراد بالرد الإرسال الذي في الآية وحينئذ فمعناه أنه إذا سمع الصلاة والسلام بواسطة أو بدونها تيقظ ورد لا أن روحه تقبض قبض الممات ثم ينفخ وتعاد كموت الدنيا وحياتها لأن روحه مجردة نورانية وهذا لمن زاره ومن بعد تبلغه الملائكة سلامه فلا إشكال أصلا اهـ

قال أبو الطيب : قال في غاية المقصود شرح سنن أبي داود بعدما أطال الكلام : هذا أي تقرير الخفاجي من أحسن التقارير اهـ

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح (٦ / ٤٨٨) :

ومما يشكل على ما تقدم ما أخرجه أبو داود من وجه آخر عن أبي هريرة رفعه : (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) ورواته ثقات ، ووجه الإشكال فيه أن ظاهره أن عود الروح إلى الجسد يقتضي انفصالها عنه وهو الموت ، وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة :

أحدها : أن المراد بقوله : (رد الله علي روحي) أن رد روحه كانت سابقة عقب دفنه لا أنها تعاد ثم تنزع ثم تعاد

الثاني : سلمنا لكن ليس هو نزع موت بل لا مشقة فيه

الثالث : أن المراد بالروح الملك الموكل بذلك

الرابع : المراد بالروح النطق فتجوز فيه من جهة خطابنا بما نفهمه

الخامس : أنه يستغرق في أمور الملأ الأعلى فإذا سلم عليه رجع إليه فهمه ليجيب من سلم عليه ، وقد استشكل ذلك من جهة أخرى وهو أنه يستلزم استغراق الزمان كله في ذلك لاتصال الصلاة والسلام عليه في أقطار الأرض ممن لا يحصي كثرة وأجيب بأن أمور الآخرة لا تدرك بالعقل وأحوال البرزخ أشبه بأحوال الآخرة والله أعلم اهـ

خاتمة الكتاب

أحمد الله تعالى الذي يسر وأعان على تمام هذا البيان بهذه البنان ، وأسأله بأسمائه وصفاته عظيمة الشـأن أن يكرمني بالعلم والبرهان ، واسـتقامة الجنان ، ونباهة الأذهان ، وذرابة اللسـان ، وأن يسـتخدمني في طاعته في كل حين وآن ، وأن يختم لي بالمغفرة والرضـوان ، وأن يجعلني من أهل جنات حسان ، وأن تكون منزلتي تحت عرش الرحمن بجوار نبيه العدنان

كتبه أخوكم

أبو العباس أنور الرفاعي

١٧ . رجب . ١٤٣٨ هـ

الرياض

وتمت مراجعته والزيادة عليه في

١٥ / ٣ / ١٤٤٠ هـ

اليمن – ريف القاعدة